عصـور -مصنفة ج- المجلد 20 / العدد 02 جويلية 2021
EISSN6278_2600 / ISSN 1112-4237 الإيداع القانونيDepot légal464-2002

التنظيم العسكري لجيش الأمير عبد القادر 1832-1847

The Military Organization of Emir Abdelkader 1832-1847

محمد بن موسى *
المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر
bmohammed179@gmail.com
د. نجاة بية
المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر
bia.nadjet@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2021/05/28 تاريخ المراجعة: 2021/06/10 تاريخ القبول: 2021/06/23

الملخص:

عرفت الجزائر خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر اندلاع العديد من المقاومات الشعبية ضد المستعمر الفرنسي عبر مختلف جهات الوطن، ولعل أبرزها مقاومة الأمير عبد القادر 1832-1847م.

ومن خلال هذه الورقة البحثية سنحاول توضيح جهود الأمير عبد القادر في تأسيس وتنظيم الجيش الجزائري لمواجهة المستعمر الفرنسي. ومدى تحقيق أهدافه أمام عدم تكافؤ الطرفين في العدة والعتاد، ولهذا، نجد نتائج البحث المتوصل إليها تكشف لنا الدور الكبير للأمير عبد القادر في الميدان العسكري، وإستراتيجيته التي اتبعها للتصدي للمستعمر، و هذا كله يعود إلى مدى خبرة و كفاءة هذا الرجل السياسي والقائد العسكري الذي كان له الدور الكبير في تأسيس أحد الهياكل الإستراتيجية للدولة الجزائرية الحديثة، وهي المؤسسة العسكرية.

الكلمات المفتاحية: المستعمر؛ المقاومة؛ المؤسسة العسكرية؛ الإستراتيجية العسكرية؛ القائد العسكري؛ الغرب الجزائري ؛ الدولة الجزائرية الحديثة؛ الأمير عبد القادر.

Abstract

* محمد بن موسى، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر

During the first half of the nineteenth century, Algeria witnessed the outbreak of many popular resistances against the French colonialists across the country, perhaps the most prominent of which was the resistance of Emir Abdelkader in the Algerian West from 1832-1847.

whith this research paper, we will try to clarify the efforts of Emir Abdelkader in establishing and organizing the Algérien army to confront the French colonizer. And the extent to which his goals were acheived in the face of the inequality of the two parties in terms of équipement, and for this, we find the results of the research reached reveal to us the great rôle of Emir Abdelkader in the military field, and his strategy that he followed to confront the colonizer, and all this is due to the extent of the experience and competence of this politician and military leader who played a major rôle in establishing one of the strategic structures of the modern Algérien state, the military institution.

Keywords :
the colonizer; Resistance; military establishment; military strategy; military commander; the Algerian West; The modern Algerian state;the Prince Abdel kader.

مقدمة:

من رحم المواطنة والتآزر، التفت قبائل الغرب، بمنطقة معسكر، لمبايعة الأمير عبد القادر، كرجل سياسي، ديني(مرابط)، وعسكري لبناء هيكل الدولة الجزائرية الحديثة في مختلف الميادين، لا سيما المؤسسة العسكرية ومصالحها، وبذلك تعززت قوته بالجيش الوطني الذي تعاضد مع سواعد الجزائريين بحنكة وفطنة قائده، الذي استطاع أن يتصدى على عدو جائر، يفوقه قوة وعددا، و هذا ما يسوقنا إلى طرح الإشكالية التالية: هل ولادة المؤسسة العسكرية للدولة الجزائرية الحديثة وتطورها بقيادة الأمير عبد القادر كفيل لمواجهة المستعمر الفرنسي؟

إنـه ولا بـد لتقصـي الحقـائق العلميـة حـول التنظيمـات العسـكرية للأمير عبـد القادر من إتباع المنهج التاريخي لعرض الحقائق التاريخية، والوصفي لوصفها، والتحليلي لنقد أحداث التجربة العسكرية لهذا الأمير.

1-نبذة تاريخية عن حياة الأمير عبد القادر(المولد والنشأة):

شهدت بلدة القيطنة بوادي الحمام قرب مدينة معسكر سنة 1807 ميلاد أحد الشخصيات العظيمة في التاريخ الجزائري، إنه كما ذكرته المصادر الغربية باسم الحاج عبد القادر بن محي الدين El Hadj Abdelkader Ibn Mahiddin (René de Saint Félix,1865 :60).

يعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب و فاطمة بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم(الأمير عبد القادر،1995: 44-45) ، ورغم نسبه الشريف إلا أنه كان يرفض رفضا قاطعا استغلال نسبه وأصله لاكتساب الاحترام، التقديس وطاعة الناس، فقد كان يقول" لا تسألوا أبدا ما هو أصل الإنسان وفصله، بل اسألوا عن حياته وأعماله، شجاعته ومزاياه، وعندئذ تدركون من يكون".(آسيا تميم،2008: 15)

تعلم عبد القادر القراءة والكتابة وعمره لم يتجاوز خمس(05) سنوات، حفظ القرآن الكريم وهو ابن 12 سنة، واصل دراسته بمدرسة سيدي أحمد خوجة بوهران ،(آسيا تميم،2008: 16-17) وهناك تلقى من علمائها ما يحتاجه من العلوم العربية والدينية، فكان حافظا لكثير من اللغة العربية والدين من صحيح البخاري(محمد بن عبد القادر الجزائري، 1974: 49). و بعد عودته إلى الديار، واصل تعليمه على يد الشيخ أحمد بن الطاهر البطيوي تعليمه، فأخذ عنه العديد من العلوم الحديثة كالفلك والرياضيات والجغرافيا، بالإضافة إلى إطلاعه على الشؤون الأوروبية. (الأمير عبد القادر2010: 50-64)

الشاب عبد القادر لم يكتف بتلقي العلوم الدينية والدنياوية، بل اهتم بالفروسية، ركوب الخيل وتعلم فنون القتال، فتفوق على غيره من الشباب. وكان من القلائل جدا الذين جمعوا بين العلوم الدينية والفروسية عكس ما كان الوضع عليه آنذاك، إذ انقسم المجتمع إلى المرابطين المختصين في الدين، والأجواد المختصين في الفروسية وفنون القتال.(آسيا تميم،2008: 15-16)

كان الأمير منذ مطلع شبابه يجيد ركوب الخيل ويتفنن في اللعب على ظهورها، حتى أصبح وهو في السابع عشر(17) من عمره فارسا لا يدانيه أحد أو ينافسه، فجمع بذلك بين السيف والقلم.

سافر الأمير مع أبيه لأداء فريضة الحج سنة 1825م، وفي طريقهما إلى الحجاز مرا بتونس توقفا بمصر مدة، وشاهد خلالها ما كانت تعرفه مصر من إصلاحات محمد علي باشا، وهو قائد عسكري من أصل الباني1770-1849، والي مصر سنة 1805م، خاض عدة حروبا ضد السلطان العثماني 1830-1848م، جعل حكم مصر وراثيا،في عهده عرفت مصر عدة إصلاحات (سعيد بورنان،2015: 56)، وعند عودتهما عرجا على بلاد الشام، وأقاما بها شهورا تمكن أثناءها الأمير من حضور حلقات الدروس العلمية التي كان يقيمها كبار العلماء بالجامع الأموي. سمحت هذه الفرص للأمير من الإطلاع على أنظمة الحكم في الأقطار العربية المشرقية وأوضاعها في مختلف الميادين، كما زادته شغفا بالعلم فاعتزل لتحصيله، وكان لا يفارق الكتب إلا إذا خرج للصلاة، أو لتناول الطعام، حيث قرأ خلال تلك الفترة كل ما وصلت إليه يده من كتب الفقه والحديث، الفلسفة، الفلك والجغرافيا، واستطاع أن يؤسس مكتبة تعد من أغنى المكتبات في تلك الأيام.(شارلز هنري تشرشل،1982: 47).

توفي الأمير عبد القادر سنة 1883 بدمشق عن عمر ناهز 76 سنة، قضاه في الجهاد ضد الاستعمار، العبادة، طلب العلم، و بقي جهاده شعلة تنير الطريق في الجزائر أثناء فترة الاستعمار حتى بعد وفاته، إذ شارك إبنه محي الدين في ثورة المقراني عام 1871، و ناضل حفيده خالد بن الهاشمي ضد الاستعمار، ولقي مصيه في المنفى بعد الحرب العالمية الأولى عام 1919. و بعد الاستقلال نُقلت رُفاته إلى مقبرة العاليا، واتُّخذت صورته رمزا للدولة الجزائرية، فكانت توضع على الأوراق النقدية، ووضع له تمثال بالعاصمة لتبقى الذاكرة الشعبية تُمجد واحدا من الذين صنعوا التاريخ (محمد بن عبد القادر الجزائري، 1974: 14) ، فكتبوه بأحرف من ذهب : نضال... وفاء... استقلال ساهم فيه الأمير وأبناؤه وأحفاده.

2- دور الأمير عبد القادر في تنظيم الجيش:

2-1- تجهيز القوة العسكرية :

أَوْلَى الأمير عبد القادر بعد مبايعته،اهتماما كبيرا بالشؤون العسكرية، ومصالحها، تبعا للظروف السائدة التي يتصدرها التوسع الفرنسي نحو المناطق الداخلية، ووصوله إلى الغرب الجزائري. حيث قام بتكوين جيش جزائري منظم، وقوي، مُنتشر في مختلف أنحاء الدولة، وتحت إشراف خلفائه، وقد تأثر في ترتيب وحداته، إلى حد كبير، بالقوانين الأجنبية الفرنسية والتركية. كما أكسبته معاركه ضد المستعمر خبرة وتجربة كافية، أهلته إلى حسن التدريب على استعمال أحدث الأسلحة.(Paul Azan,1925 : 138).

أثر تكوينه الإسلامي، وإطلاعه على موروث أسلافه العسكري، على فرض مبدأ الطاعة والانضباط كمبدأ أساسي في جيشه، وأعطى أيضا الصِّبغة الإسلامية لجيشه في محاربة عدوه، مُتخذا راية الجهاد في سبيل الله وسيلة لشحن الهمم، وتنوير العقول بالدفاع عن مصلحة الأمة التي تكمن في مصلحة جيشها، وهذا ما نجده في الآية الكريمة، في قوله عزّ وجلّ" وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ "(.سورة الأنفال :الآية 60).

نظّم الأمير أموره العسكرية على نحو يسمح له بمواجهة عدوه والتصدي له، فأسس لذلك جيشا نظاميا وغير نظامي، يضم أبناء جلدته.

2-2-تقسيم الجيش :

تألف جيش الأمير عبد القادر من فئتين، هما: الجيش النظامي، والجيش غير النظامي أو الجيش المساعد.

أولا : الجيش غير النظامي(أو الجيش المساعد) :

كان الجيش غير النظامي في صفوف الأمير يتكون من المتطوعين الذين كانوا يلبون نداء الجهاد، بلغ عددهم 83ألف مقاتل، من فرسان ومشاة مطلع 1838م، (Paul Azan,1925 : 138). و53 ألفا عندما خاض الأمير الحرب ضد الفرنسيين سنة 1839م(Bellemare A,1854:225-226,)، ووصل عددهم حسب ما ذكره المؤرخ قاليبارت في ذات السنة 53 ألفا.(Leon Galibert,1846 : 500-501).

شكلت هذه القوة الجزء الأكبر من الجيش، و كانت دائما السباقة في الالتحاق بالقوات النظامية إذا ما دعت الظروف لذلك، و بعد انتهاء الحرب تعود هذه القوة إلى موطنها. (جمال قنان، دت: 47)

شمل هذا العدد جميع الوحدات التي كانت القبائل تمدد بها في حالة الطوارئ. (شارلز هنري تشرشل،1974 :140) ووضح عددهم المؤرخ دوماس بجدول مفصل حسب المنطقتين: جهة الشرق وجهة الغرب.(Eugène Daumas, :584-585)

لكن الأمير سرعان ما اكتشف عدم كفاءة هؤلاء المحاربين، فبدأ ينظم جيشا نظاميا لدولة عسكرية كبرى، واضع شروطا للانضمام إلى هذا الجيش، من أهمها:

1- أن يكون الجندي جزائري،ا مسلما، عاقلا، بالغا وحرا.

2- أن يكون صحيح الجسم قوي البنية.

3- أن يدون اسمه في سجلات رسمية، أي الدفاتر الأميري لتحديد واجباته وحقوقه.

3- أن ينصرف إلى القتال انصرافا تاما، فيمتنع عن تعاطي أي نوع من أنواع المهن الأخرى مثل الزراعة، التجارة، الصناعة وغيرها(محمد بن عبد القادر الجزائري، 1974: 191).

ساعدت القوات غير النظامية الأمير في كافة حروبه، لكنها غالبا قاتلت بفوضى وعدم انتظام، دون التقيد بمبدأ أو قانون. فابتعدت بذلك عن الانضباط الذي كان يُمثل العامل الحيوي والضروري لحفظ الجيوش من الانحلال والتشتت.

ثانيا: الجيش النظامي :

هو جملة العسكريين الموجودين في الخدمة الفعلية، والمتطوعين في ثلاثة أسلحة والحرس الأميري:

أ- العسكر المحمدي أو المشاة:

وهي مقسمة إلى كتائب، تضم كل منها 1000 رجل يقودهم أغا(عبد القادر بوطالب،2009: 87)، مقسمة إلى سرايا من100 مقاتل،(Eugène Daumas, :564-565) يقودها قائد، ويقود كل نصفها سيّاف، وهي تعني Centurion Seyaf بالفرنسية وبالتركية Yus Bachi ومعناها يوز- مئة وباش أي رأس، أُطلق على اسم قائدها الذي كان يحمل رتبة برسم سيف (محمد بن عبد القادر الجزائري، 1974: 192-193).

. انقسمت هذه الوحدة المقاتلة إلى فئات، كل فئة إلى ثلاثة أقسام، ولكل قسم منها خِباء، وهو الخيمة التي تُصنع من وبر أو صوف أو شعر للسكن، تضم كل خيمة 33 جنديا(قدور بن رويلة، 1978: 14) وعليه رئيس الخباء ونائبه. وَألحق مع كل آغا وسيّاف كاتب.

تسلّح هذا العسكر بأسلحة بسيطة، تتمثل في بنادق أغلبيتها فرنسية، حصل عليها من الجزائر، تونس، المغرب ومن جند الدوائر والكتيبة الإفريقية، وكانوا يحملون جُعبا للذخيرة اتسعت الواحدة منها لثلاث عُلب من الخرطوش. وتجدر الإشارة هنا إلى أن العسكر المحمدي لم يستعمل البنادق ذات المغلاق، رغم سهولة الحصول عليها. (Eugène Daumas,1912 :597-600)

ب- الفرسان أو الخيالة:

يتولى قيادتهم قائد يعينه الأمير، يشرف على تدريبهم وتحفيزهم بالأسلحة، يتألف هذا الصنف من كتائب، تضم كل واحدة ألف(1000) فارس بقيادة الأغا، وكل واحدة من الكتيبة فيها مجموعة من السرايا ،تتكون كل واحدة منها من خمسين(50) فارسا بقيادة سيّاف، إضافة إلى ما يندرج من الفرسان ما يسمى: الفصيلة، التي تتكون من 20 فارسا بقيادة رئيس صف يساعده شاويش، وعلى كل ألف من الفرسان كاتب ويترأس مجموع الكتاب رئيس يسمى باش كاتب، وهي كلمة تركية معناها رئيس الكتاب(قدور بن رويلة، 1978: 39-41)

خَصّص الأمير فُرسانه بالسيوف المراكشية، بالضبط من منطقة فاس، في حين، رفض استعمال السيوف الاسبانية. وصّمم على شراء كمية من المسدسات وتوزيعها عليهم فقط، بينما افتقرت بقية الجيش إلى هذا النوع من الأسلحة. أما خيولهم، طُبع على كتفها حرف"S"، كما كان يُكبع على الكتف الأيمن بعد التدريب. وإذا قُتل الحصان والقائد غائب، يقطع الفارس الحرف، ويأخذه له إثباتا لذلك. وفي حال فقدان عدد من الخيول في معركة ما، يُصار إلى استبدال هذه الحيوانات بأُخرى من المنطقة التي تحصل فيها المعركة(Eugène Daumas,1912 :598-600).

ج- المدفعيون أو "الطوبجية":

يُشكل سلاح المدفعية أو الطوبجية القوة الثالثة لجيش الأمير النظامي، ينقسم المدفعيون إلى مجموعتين، ستة(06) منهم يديرون المدفع ،والستة(06) الآخرون يستريحون مع تبادل الأدوار، يستمرون في مهامهم تحت قيادة رئيسهم، يُساعده كاتب إضافة إلى وجود" باش طوبجي" رئيسا لهذه الفرقة التي وصل عددها 24 عنصرا، يتولون مسؤولية 20 مدفعا،(قدور بن رويلة، 1978: 64)

د- الحرس الأميري:

يتألف الحرس الأميري من 100 فارس موزعين على خيام، كل واحدة منها تضم عشرون جنديا، لهم ضابط أول، اتخذهم الأمير لحمايته أثناء السير ولحراسته ليلا نهارا، وفي القتال، وعند التوقف، ولهم أسلحة مُحلاة بالذهب والفضة ومرصعة بالمرجان. (Bellemare A,1854:242-242,)

كانت قوات الأمير النظامية وأسلحتها، لا سيما الثقيلة منها، محدودة وقليلة. إذ لم تُجهّز يوما بوسائل نقل أو معدات قتالية كافية، ولم تتعد في أية معركة وحدات الفرنسيين الذين تسلّحوا بأحدث البنادق والمدافع، وارتدَوْا أفخر الألبسة القتالية وانتعلوا أحسن الأحذية.

بعد تطرقنا لمختلف أصناف القوى العسكرية المشكلة للجيش النظامي للأمير عبد القادر، يمكننا التمييز في سلسلة الرتب والشارات المميزة لها (التراتبية) في ما يلي:

*- الضباط: وهم القادة الكبار، لهم مكانة محترمة وزعت عليهم علامات وهي:

*- الأغا: قائد العسكر، له علامات من ذهب، اثنتان على منكبيه إحداهما مكتوب عليها "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله " والأخرى على صدره بشكل قمر أو هلال ، فذات اليمين مكتوب عليها "لا إله إلا الله".. وذات الشمال مكتوب عليها" محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم".(محمد بن عبد القادر الجزائري، 1974: 193-194)

*- رئيس الخيالة : يتميز بعلامتين من الذهب إحداهما على منكبه وأخرى على صدره مكتوب عليها"محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم."

*- قائد المائة (السياف) له علامتان من فضة على شكل سيف.

*- رئيس الطوبجية : يتميز بعلامة من الفضة تحمل صورة مدفع.

*- رئيس الكتاب :له علامة من فضة على شكل ممر مكتوب عليها " ناصر الدين".

*- سياف الخيالة :يتميز بعلامة واحدة من فضة.

*- صف الضباط : يتكون من: رئيس الصف، خليفة رئيس الصف، الشاويش

*- الجنود: كانوا يتميزون باللباس الموحد الذي يميزهم عن غيرهم من الجيش غير النظامي،(قدور بن رويلة، 1978: 44-46).

نظّم الأمير معسكر الجيش على شكل شبه دائري على جانبي مدخله الرئيسي مدفعان. تتوزع خيمه المخروطية بطريقة مدروسة ومتقنة، حيث تتعادل المسافة بينها على الشكل التالي:

- في مقدمة المعسكر تتموضع خيمة قائد سلاح المدفعية تقابلها خيمة رئيس الأطباء ومعاونيه وخيمة المستشفى.

- في الوسط توجد خيمة الأمير ، وهي مكان تُعقد فيه الجلسات لمناقشة المسائل المهمة والخروج بقرارات مناسبة.

- وعلى مسافة ستة أمتار من خيمة الأمير يقع مركز رايات الجيش ومربط خيله، وعلى يمينها ويسارها تنصب خيم كتيبة أسراره وحراسه، ومن ورائهم خيم محافظي الخزينة ومستودعات أسلحة الجند وتغذيتهم. ".(محمد بن عبد القادر الجزائري، 1974: 211-213)

باختلاف هذه الرتب والشارات، اختلفت رواتب أصناف الجيش الأميري النظامي وغير النظامي.

2-3- المرتبات العسكرية :

تميزت المرتبات للقوات النظامية بالوضوح والثبات، فرواتب الضباط ما بين تسعة ريالات ونصف(09 ونصف) إلى اثنين وعشرين(22) ريالا، فسياف الخيالة يتقاضى تسعة ريالات ونصف(09 ونصف) ، وقائد المائة اثني عشر(12) ريالا، وكاتب العسكر الكبير و مدربي العسكر، الخيالة، الطوبجية والطبيب الكبير اثنا عشر(12) ريالا، والباش طوبجي و رئيس المدفعية أربعة عشر(14) ريالا ورئيس الخيالة تسعة عشر(19) ريالا وقائد العسكر اثنان وعشرون(22) ريالا(Bellemare A,1854:221-222,) .

نشير إلى ملاحظة هامة خاصة بالرواتب، بالنسبة للمرضى الذي يمنعهم مرضهم من مواصلة الخدمة يتلقون نصف راتبهم إلى غاية موتهم. أما نظام دفع الرواتب لم تكن ثابتة،(Eugène Daumas,1912 :506) ولكن كانت تُدفع بانتظام كل ثلاثة أشهر وعند وقت دفعها يجتمع العسكر في باحة المعسكر وينادي كل باسمه ليتقدم، ويقبض راتبه(Mounir Bouchi,1976 :82).

2-4- التجنيد :

مكّنت فلسفة الأمير العسكرية إلى تبني فكرة التجنيد لأبناء البلاد للإلتحاق بجيشه، فقد كشفت له ثقافته الواسعة عن العساكر أيام حكم الاتراك للجزائر كانت فاشلة، لتعارضها مع طبيعة شعبه وعدم تآلفها مع الحياة القبلية في الأرياف. وعلم من خبرته الطويلة أن الإعلان بصراحة عن خطة من هذا النوع قد تعترضها المصاعب، وتؤدي بالنتيجة إلى التأثير سلبا أو إيجابا على تصرفات مقاتليه وسلوكهم. (Eugène Daumas,1912 :564)

التجنيد الإجباري لم يكن الخيار الوحيد للأمير في تدعيم جيشه النظامي، فذلك لم يثنه عن عزمه باللجوء إلى وسيلة أخرى لتحقيق هدفه، وهو التجنيد الاختياري . لأجل هذا السبيل عقد مجلسا عاما من رجال دولته وأعيانها في عاصمته، وأخذ موافقتهم على تنفيذ هذا الإجراء، في بلاغ عام جاء فيه: " ليبلّغ الشاهد الغائب، أنه صدر أمر مولانا ناصر الدين بتجنيد الأجناد وتنظيم العساكر من كافة البلاد. فمن أراد الدخول تحت اللواء المحمدي ويشمله عزّ النظام، فليسارع إلى دار الإمارة في معسكر ليتقيّد اسمه في الدفاتر الأميرية" (محمد بن عبد القادر الجزائري، 1974: 191)

شرط الأمير عبد القادر مجموعة من الأمور المتعلقة بالمبادئ، أهمها:

- أن يكون الجندي جزائريا، مسلما، عاقلا، بالغا حرا.
- أن يكون صحيح الجسم وقوي البنية.
- أن يدون اسمه في سجلات رسمية(الدفاتر الأميرية) لتحديد واجباته وحقوقه.
- أن ينصرف إلى القتال انصرافا تاما، بحيث يمتنع عن تعاطي أي نوع من أنواع المهن الأخرى كالزراعة، الصناعة والتجارة وغيرها.

ويسري على المتطوع الجديد ما يلي:

- اعتبار عقده نهائيا بعد تسجيل اسمه في الدفاتر الأميرية.

- تطبيق أنظمة وقوانين الجيش المحمدي عليه بعد التسجيل.

- فسخ عقده عند اقترافه عملا منافيا للأخلاق أو معارضا للأنظمة العسكرية أو مخالفا لتعليمات الأمير. (إسماعيل العربي، 1984: 225).

2-5- صناعة الأسلحة (الصناعة الحربية):

أدرك الأمير عبد القادر ضرورة الاعتماد في تسلحه على القدرة الذاتية للبلاد، فأقام مصانعه التي كان يديرها أوروبيون، والتي أخذت تنتج بكفاءة وإتقان ما يحتاجه الجيش من مصانعها في أهم المدن الخاضعة للأمير.

أقام في تلمسان مصنعا لصهر المدافع، كان ينتج يوميا اثنا عشر(12) وست(06) مدكات مدافع تحت إشراف هارب فرنسي قدم إلى المغرب. وكان السيد "دوكاس" أحد المتخصصين في علم المعادن، قد أنشأ بعد عثوره على المعدن في جبل زكار بالقرب من ملیانة (290: (SD),Emeri Mercier) مصنعا للبنادق وآخر لإنتاج البارود(بسام العسلي،2009: 174). وكان الحديد يجلب من منجم بالقرب من ملیانة، وشكّلت مناجم ملح البارود، الكبريت، الحديد، النحاس محل عمل متواصل. واشتهرت مدن: تلمسان، معسكر، ملیانة المدية و تاقدامت بصناعة البارود. بالإضافة إلى ذلك اشترى الأمير أحجار الصوان واستورد الكبريت من فرنسا، واشترى من المغرب الأقصى كميات هائلة من الرصاص، ومن قبائل الصحراء المتنقلة التي كانت تأتي إلى التل، وتغرق الأسواق بالأسلحة المصنوعة بتونس، أولاد سيدي الشيخ، تقرت وميزاب. وفرض الأمير على كل من وُجد عنده من الجزائريين بندقية فرنسية أن يبيعها للدولة بمبلغ يقدر بحوالي جنيهين(02) انجليزيين(شارلز هنري تشرشل،1974: 141). ثم اعتمد على مقدرات البلاد منه في جبل الونشريس(شارلز هنري تشرشل،1974: 142). غير أن تكاليف استخراج الرصاص هنا كانت باهضة جدا، ولهذا السبب، حرص الأمير على الاحتفاظ بالذخائر في مخازن الدولة، وعدم التوزيع على الأعراب إلا بكميات محدودة نظرا لأنهم كانوا يبذرون في استخدامه خلال احتفالاتهم ومهرجاناتهم. ولم يخرج عن هذه القاعدة إلا عندما كان يتطلب الأمر إمداد الجند الذين يحاصرون الفرنسيين، أو في ميادين القتال، حيث كان يتم الإمداد بالذخائر في مواقع القتال ذاتها. وعندما أخذ الأمير في بناء قاعدة تاقدامت

اعتبارا من سنة 1836م عمل على تحويل السراديب الرومانية إلى مخازن للذخيرة والكبريت ملح البارود، النحاس، الرصاص والحديد. ولكل الآلات والأدوات التي اشتراها "مولود بن عراش" من فرنسا بمبلغ أربعة جنيه استرليني.(بسام العسلي،2009: 174-175) . وكان مصنع البنادق في تاقدامت ينتج ثماني (08) بندقيات يوميا(شارلز هنري تشرشل،1974: 137) ، وهو عمل من إنتاج صناع فرنسيين، منهم فرانسوا لوشارFrançois Lochard(أديب حرب،2005: 232) جاء بهم من باريس بأجور حرة. (بسام العسلي،2009: 174-175).

2-6- التدريب وحمل الأسلحة :

اهتم الأمير بتكوين الجيش وتدريبه جيدا على أساليب القتال، واستقدم لذلك مدربين من الوطن العربي 'تونس، المغرب، ليبيا " واعتمد على الفارين من الجيش الفرنسي وذوي الخبرة من الجيش الجزائري في العهد العثماني. كان للتدريب أياما وأوقات خاصة، حسب خصوصية كل عمل عسكري، وتبعا لبساطة الوسيلة العسكرية، اقتصر التدريب في غالب الأحيان، وبشكل مكثف حول استعما البندقية والمدفعية،(قدور بن رويلة، 1978: 47-48) ، بالإضافة إلى فرض الطاعة والأخلاق الحسنة أثناء التعليم. (محمد بن عبد القادر الجزائري، 1974: 194-196).

تسلح الجيش ببنادق فرنسية أو انجليزية تحصل عليها الأمير عبد القادر كغنائم بعد المعارك، أو من الجنود الفرنسيين الفارين، أو بالشراء من المغرب الأقصى أو من قبائل الصحراء التي تأتي إلى التل وتغرق البلاد بأسلحة من تونس، تقرت، ميزاب ، والكبريت يأتي من فرنسا، أما ملح البارود فإنه يتواجد في كل مكان، وبذلك إختلفت أنواع الأسلحة من بارود، قذائف،خراطيش، بنادق ومدفعيات (شارلز هنري تشرشل،1974 :141).

وصلت قوات الأمير عبد القادر أواخر سنة 1839م 58960 جنديا موزعون على المقاطعات الثمانية(أو الولايات) لدولة الأمير تحت قيادة خلفائه على النحو التالي(يحي بوعزيز، 1974: 80-85):

المقاطعة (الولاية)	الخليفة	المجموع
تلمسان	محمد البوحميدي الولهاصي	13030
معسكر	الحاج مصطفى بن التهامي	15230
مليانة	محمد بن علال	10440
تيطري	محمد البركاني	6830
الزيبان	محمد الصغير بن الحاج	350
برج حمزة	أحمد بن سالم الدبيسي	4350
مجانة	محمد بن عمر العيسوي	350
الاغواط	قدور بن عبد الباقي	8380
المجموع	//	58960

2-7- فنون القتال لدى جيش الأمير عبد القادر(المبادئ التكتيكية):

اعتمد الأمير عبد القادر بعد تجهيز جيشه على مبادئ تكتيتكية يعتمدها الجند الجزائري لمواجه الخصم الذي يفوقه عددا، و يتفوقه أسلحة حديثة ومتطورة. وقد فصّل الأمير عبد القادر جزء منها لخلفائه قائلا:" لا تحاربوا الفرنسيين في جمع كبير، بل الاقتصار على مضايقتهم ومطاردة أجنحتهم وقطع خطوط مواصلاتهم والوقوع على معداتهم ووسائل نقلهم، والتراجع الخادع ونصب الكمائن، والهجوم المفاجئ لإذاعة الارتباك والحيرة والدهشة منهم"(Paul Azan, 1925 : 161-162)

يظهر من هذا القول أن الأمير عبد القادر قد أخذ خبرته العسكرية في ميدان الحرب من تجاربه السابقة، وقام يوصي بها ليطبقها جيشه ضد المستعمر. لهذا يمكن أن نعتبر عمله هذا بمثابة المنطلق الأساسي في حروبه القادمة.

وبإطلاعنا على ما كتبه المؤرخ الفرنسي "بول آزان" Paul Azan حول المبادئ التكتيكية للأمير عبد القادر في حروبه ضد أعدائه، نكتشف أنه لم يعتمد على ما أشرنا

إليه سابقا، وإنما هناك مبادئ أخرى اضطلع بها جيش الأمير، ويمكن أن نوجزها في هذه الأسطر :

- التجسس والاستطلاع.
- تقدير الظروف، الثقة بالنفس والمعنويات العالية.
- اعتماد أسلوب الكر والفر، المفاجآت وحرب الكمائن. (Paul Azan, 1925 : 161-163)

عبقرية الأمير في مجال تطوير حرب الحركة أسفرت عما عرف باسم" الزمالة". وهي عبارة عن جزء من تنظيم المدينة المتنقلة الضاربة في عرض الصحراء وكانت هذه المدينة المتحركة تتكون من ثلاثة(03) أقسام :

- الزمالة، فيها مقام الأمير وآل البيت وحاشيته.
- الدوائر، وفيها المدنيون من شعبه، النساء، الأطفال، الباعة والصناع.
- المحلة، وهي معسكر الجند المحارب ومضارب صنع السلاح، ومستودعات الذخائر ولمؤن، و بها مكان فسيح لاجتماع المجلس العام.

تعتبر الزمالة مركزا حربيا، ومقرا مدنيا، بها مائتا ألف(200000) نفس، وكان الأمير يبث من هذه المدينة المتحركة عيونه(جواسيسه) ويرسل منها بعوثه، وفيها يستعد للحرب.(بسام العسلي، 2009: 189-190)

لقد طارت شهرة هذه المدينة المتحركة (الزمالة) التي كانت تملأ النجود والأغوار وهي تردد بين الحل و الترحال، بين الإقامة والانتقال. وقد حرص الأمير على جعل نظام التعسكر محترما من الجميع ومنظما تنظيما دقيقا. .(بسام العسلي، 2009: 190)

3- المصالح المؤسساتية للجيش:

تدعم الجيش النظامي للأمير عبد القادر بمصالح مؤسساتية، أهمها:

3-1- مصلحة القضاء: تكون القضاء العسكري في جيش الأمير من:

3-1-1 مجلس الشورى :

يعتبر المرجع الوحيد الصالح للبت بالأمور التشريعية للدولة، ومال المسائل العسكرية التي تستطيع المحكمة العسكرية الدائمة اتخاذ قرارات بشأنها.

- محكمة عسكرية دائمة: تشمل صلاحياتها كافة وحدات الجيش، وتنظر في أحكام القضاة المنفردين وتبت فيها. تنحصر صلاحيات كل قاض من القضاة المنفردين بحدود عناصر كتيبته.

3-1-2 العقوبات والجرائم العسكرية :

- العقوبات:

تطبق الأحكام الصادرة من مجلس الشورى والمحكمة العسكرية الدائمة والقضاة المنفردون على العسكريين كافة، ووفقا للعقوبات المنصوص عليها في الحكم الشرعي الذي عرّفه المؤرخ بن رويلة: " بأنه اجتهاد شرعي وقانون عسكري يجري على العسكر والجيش المحمدي. ،(قدور بن رويلة، 1978: 68). وعلاوة على ذلك يحق للأمير فرض عقوبات إضافية على العسكريين المخالفين.

- **الجرائم العسكرية:** اختلف العقاب المتعلق بالجرائم العسكرية حسب اختلاف الأفعال المرتكبة، وعليه، يمكن توضيح الجرائم العسكرية في العناصر التالية،

أ/- جرائم التملص من الواجبات العسكرية:

- في ما يخص التخلف، يعد متخلفا كل شخص يدعى للخدمة في الجيش ولا يلبي الدعوة وعقوبته شهر كامل(30 يوم) بالإضافة إلى ما يقرره الأمير.

- في ما يخص الفرار العسكري من وحدته بدون إذن أو عذر شرعي بأيام حبس تساوي عدد أيام فراره شرط أن يعود باختياره، أما إذا قُبض عليه فعقوبته يحددها الأمير.

ب/ جرائم مخلة بالشرف والواجب:

- في الإتلاف : كل عسكري يقدم على إتلاف سلاحه او جزء منه أو يفسده في غير قتال يُعاقب باجتهاد السلطان، بالإضافة إلى تغريمه بالثمن.

- في الغش : كل آغا أو سياف غشّ أو إستحصل على مبالغ مالية بطريقة غير شرعية يعاقب بسنتين(02) حبسا. وكل آغا غش في الخدمة وثبت عليه ذلك يُعاقب بشطب اسمه من الديوان العسكري ويطرد من الجيش. (قدور بن رويلة، 1978: 68-72).

ج/ وفي حالة مخالفة التعليمات العسكرية :

- حبس بيوم وليلة لكل عسكري يطلق طلقة واحدة أو يمتطي جواده بدون إذن.

- حبس بيوم وليلة كل عسكري يتخلف عن التعداد الصباحي او المسائي، وبيومين كل من يتغيب عن التعليم جلسة واحدة.

- حبس بيوم وليلة كل عسكري يرتدي ثيابا غير المسلمة له من الجيش، وثلاثة أيام كل من يوسخ سلاحه أو قطعة من ثيابه.

- يعاقب بالحبس ستة أيام (06) كل رئيس صف، أو خباء أو كاتب يتخلف عن التعليم من غير سبب موجب.

- يعاقب بالحبس ثمانية أيام (08) كل عسكري ينام أثناء قيامه بالخفر أو المراقبة.

- يعاقب بالحبس عشرة أيام(10) كل سياف يهمل يومي الاثنين والخميس إجراء التعداد على جنده أو التفتيش على أسلحتهم وعتادهم الحربية وأمتعتهم.

- يعاقب بالحبس عشرين يوما(20) كل آغا يهمل نهار السبت إجراء التعداد على جنده أو التفتيش على أسلحتهم وأمتعتهم الحربية.

د/ العزل: كل ذي رتبة يقدم على عمل يوجب عزله يُجرد من رتبته ويصبح جنديا عاديا يخدم في الوحدات المقاتلة. (محمد بن عبد القادر الجزائري، 1974: 206-207).

3-2- مصلحة الصحة :

أوجد الأمير عبد القادر مصلحة مختصة في الطب العسكري، ووضع على رأسها طبيب له شهرة في عصره وهو أبو"عبد الله الزراولي"، المتخصص في الطب. ساعده في مهمته الدكتور "وارنيمي" Warnier الطبيب الفرنسي بقنصلية وهران مع النقيب "دوماس" Daumas. (قدور بن رويلة، 1978: 67) عُرف عن الطبيب "أبو عبد الله الزروالي" خبرة وحنكة في العلاج، الجراحة ومعرفة واسعة بالأعشاب الطبية وخصائصها العلاجية والجراحية(جمال قنان، دون تاريخ،50). يشرف الطبيب الكبير على المصالح الفرعية التي أنشأت في عدد من المقاطعات التي ترابط بها القوات النظامية .كما يشرف على تدريب الممرضين الذين كانوا يُختارون من بين الجنود الذين تتوفر فيهم صفات اللياقة،البشاشة، طيبة المعاشر، والشعور الإنساني المرهف، فيرتقي ذوي الاستعدادات والمهارات منهم للرتب الأعلى في السلك الطبي.(فتحي دردار،2001م: 94)

3-3- غذاء الجند :

أَوْلَى الأمير عبد القادر اهتماما بالغًا بغذاء جنده ومثال ذلك ما أورده تشرشل في كتابه " :أنه ذات يوم قدم على عبد القادر ضباطه وعلى وجوههم فرحة غامرة لوجودهم قطيعا من الغنم وقد رفض السلطان أن يتناول وجبة طعام دسمة "وقال لهم":خذوها إلى جنودي الذين يكادون يموتون جوعا، وعاد هو إلى وجبته العادية من ثمار البلوط(شارلز هنري تشرشل،1974 :212)

3-4- مصلحة الطنبور والموسيقى العسكرية :

يعتبر الطبل والموسيقى أداة من أدوات الحرب التي تستخدم للاتصال، ورفع الروح المعنوية للجنود أثناء القتال(جمال قنان، دون تاريخ،51)، كما كانت الموسيقى تستخدم للترفيه وإثارة الحماس أثناء القتال. فنجد الأمير عبد القادر أولى اهتماما بالغا بهذا المجال، حيث أوجد قاعدة لهذه المصلحة على المستوى المركزي، فوزع مهامها على العسكر حسب الاحتياج والضرورة. كما تولى مسؤولية تدريب أفراد الجيش على فهم وإدراك معاني نقرات الطبل والامتثال لها (فتحي دردار،2001م: 94).

-خاتمة:

بعد عرضنا لمختلف عناصر هذه الورقة البحثية الخاصة بالتنظيم العسكري لجيش الأمير عبد القادر ، يمكننا أن نصل إلى مجموعة استنتاجات، أهمها:

- يعد الأمير عبد القادر أحد الشخصيات التاريخية العظيمة التي ساهمت بفكرها وسيفها في مقاومة المستعمر الغاشم خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر.
- ساهمت تنشئته الدينية والدنيوية في تكوين وتنشئة جيش الدولة الجزائرية الحديثة في عز الاستعمار.
- اتخذ الأمير عبد القادر من دستور الأمة الإسلامية أي القرآن الكريم، منهجا وملاذا للجند الجزائري (الدعوة إلى الجهاد في الإسلام).
- وظّف الأمير عبد القادر خبرته العسكرية، وما اطلع عليه من قوانين ونظم الغرب العسكرية في تجهيز جيش المقاومة الجزائرية للتصدي للعدو .
- كما ساعدته دائرة علاقاته الداخلية (دول الجوار) والخارجية (بعض الدول المسيحية) في توفير وسائل الدعم من أسلحة ومختلف الوسائل العسكرية.

- اعتمد الأمير في إستراتيجيته العسكرية أسلوب الكر والفر، والاحتماء وراء الحصون الطبيعية للوطن (الجبال) لاستدراج العدو ومقاومته بأقل تكلفة. واعتماده كذلك على العاصمة المتنقلة الزمالة، للتشويش على العدو وتشتيت أنظاره عن الخطط الدفاعية لجيش المقاومة.

- وبهذه الكيفية، أثبت الأمير عبد القادر الجزائري أنه رجل دين ودولة وقائد عسكري من الطراز الأول.

قائمة المصادر والمراجع:

01- الجزائري محمد بن عبد القادر ،(1974). **تُحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، شرح وتعليق الدكتور ممدوح حقي، ج1،بيروت.

02- العربي إسماعيل،(1984). **المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر**، الجزائر.

03- العسلي بسام، (2009م). **جهاد الشعب الجزائري قادة الجزائر التاريخيون**، ج3، الجزائر: دار العزة والكرامة للكتاب.

04- بن رويلة قدور، (1978). **وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، ويليه ديوان العسكر المحمدي المليانى**، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الجزائر.

05-بورنان سعيد، (2015). **رواد المقاومة الوطنية في القرن التاسع عشر(شخصيات بارزة في كفاح الجزائر1830-1962م)**، ج1، ط3، الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.

06- بوعزيز يحي، (1974). **الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري**، تونس.

07- تشرشل شارلز هنري،(1982). **حياة الأمير عبد القادر**،ترجمة وتعليق عليه أبو القاسم سعد الله، ط2، الجزائر: دار الرائد.

08- حرب أديب،(2005).التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري.ج2، الجزائر: دار الرائد للكتاب.

09- تميم آسيا ،(2008). **الشخصيات الجزائرية 100 شخصية**، الجزائر: دار المسك للنشر والتوزيع.

10- دردار فتحي ،(2001). **الأمير عبد القادر الجزائري بطل المقاومة الجزائرية1832-1847**م،الجزائر.

11- عبد القادر الأمير، (1995). **مذكرات الأمير عبد القادر**، الجزائر: دار الأمة.

12-قنان جمال ،(دون تاريخ). **دراسات في المقاومة والاستعمار**،الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد.

13- A. Bellemare,(1854),Abdelkader ; sa vie Politique et Militaire, Paris.

14-Azan Paul,(1925), L'Emir Abdelkader(1808-1883) Du Fanatisme Musulman au patriotisme chrétien, Paris.

15- Bouchnaki Mounir ,(1976), La Monnai de L'Emir Abdel kader, Alger.

16-Daumas Eugène,(1912), Correspondance du Capitaine Daumas ; Consul à Mascara1837-1839, Alger,édition G.Yves.

17- De Saint Félix René,(1865), Le Voyage de S.M l'Empereur NapoléonIII en Algérie, Paris,,Eug-Rick de l'isère édition.

18- Galibert Leon,(1846), L'Algérie Modern et Ancienne, Paris.

19- Marcel Emerit,(SD),L'Algérie a L'Epoque d'Abdelkader, Pari